مركز حمورابي

الهوية المفقودة... جورجيا بين الإرث السوفيتي وتجاذبات الغرب

الهوية المفقودة... جورجيا بين الإرث السوفيتي وتجاذبات الغرب

بقلم: محمد بوبوش: أستاذ العلاقات الدولية والقانون الدولي/ جامعة محمد الأول – المغرب

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

1 كانون الثاني 2025

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

شكلت الاحتجاجات المتصاعدة في جورجيا نتيجة عدة عوامل متراكمة، أبرزها قانون "التأثير الأجنبي" المثير للجدل، والذي يرى المعارضون أنه مستوحى من القوانين الروسية ويستهدف الحد من تأثير المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام المستقلة الممولة من الخارج. يُعتبر هذا القانون خطوة لتقويض الحريات الديمقراطية في البلاد وتعزيز نفوذ روسيا. كذلك، أدى تأجيل محادثات انضمام جورجيا للاتحاد الأوروبي إلى تأجيج الغضب الشعبي، حيث يرى المتظاهرون أن الحكومة تبتعد عن المسار الأوروبي لصالح تقارب مع موسكو، ما يُثير مخاوف من فقدان السيادة السياسية.

السياق التاريخي والسياسي للأزمة:

جورجيا تمر بمرحلة دقيقة بين التوجه نحو الغرب، خصوصًا الاتحاد الأوروبي، والنفوذ الروسي المستمر. يعود التوتر الحالي إلى قانون "التأثير الأجنبي" الذي يعتبره البعض أداة لتعزيز نفوذ روسيا، مما أدى إلى تصاعد الغضب الشعبي خشية العودة إلى هيمنة موسكو.

تندرج التظاهرات التي شهدتها جورجيا يومي الثلاثاء والأربعاء 07-08 مارس 2023، ضمن أزمة سياسية أوسع تعاني منها هذه الدولة القوقازية. تسعى هذه الجمهورية السوفياتية السابقة، التي تعرضت لتدخل عسكري روسي في عام 2008، أدت إلى الانضمام رسمياً إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، وهو توجه بدأ بعد "ثورة الورود" في عام 2003. أدت هذه الثورة إلى وصول ميخائيل ساكاشفيلي الموالي للغرب إلى الحكم، لكنه الآن يقبع في السجن حيث يتهم الحكومة بالانتقام السياسي. ومع ذلك، فإن بعض الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الحالية مؤخراً، مثل مشروع قانون "العملاء الأجانب"، أثارت تساؤلات حول استمرار التوجهات الموالية للغرب، في وقت تتهم فيه المعارضة الحكومة بدعم موسكو.

خلال العام 2023، أعلن الحزب الحاكم في جورجيا يوم الخميس 9 اذار 2023 عن سحب مشروع قانون كان يهدد عمل وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية، وهو ما أدى إلى اندلاع احتجاجات كبيرة خلال اليومين (7-8 اذار 2023) تم قمعها بشدة في هذا البلد القوقازي. وأوضح حزب "الحلم الجورجي" آنذاك في بيان نشره على موقعه الإلكتروني الرسمي أنه كحزب حكومي مسؤول أمام المجتمع، قرروا سحب هذا القانون دون أي شروط. جاء هذا الإعلان بعد تظاهرات ضخمة شهدتها العاصمة تبيليسي، حيث استخدمت الشرطة الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه لتفريق عشرات الآلاف من المتظاهرين الذين

تجمعوا أمام البرلمان. بدأت الحركة الاحتجاجية بعد أن تم تبني مشروع قانون يوم الثلاثاء 07 مارس 2023 في القراءة الأولى، والذي ينص على أن المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام التي تتلقى أكثر من 20% من تمويلها من الخارج يجب أن تسجل كـ "عملاء أجانب" تحت طائلة الغرامة. ويعتبر منتقدو هذا القانون أنه يذكر بتشريع روسي يستخدمه الكرملين لقمع الصحافة المستقلة ومنظمات حقوق الإنسان وخصومه.

اجتاحت الاضطرابات جورجيا، بعد أن أعلن رئيس الوزراء "إيراكلي كوباخيدزه" تجميد عملية الاندماج الأوروبي، الأمر الذي تعارضه المعارضة. وفي حال كانت الاحتجاجات السابقة سلمية إلى حد ما، ففي ليلة 29 نوفمبر 2024، استخدمت القوات الخاصة خراطيم المياه والغاز المسيل للدموع ضد المتظاهرين، الذين قاموا بإشعال حاويات القمامة والإطارات، وألقوا قنابل دخانية وأشياء أخرى على أفراد الشرطة. ووفقاً لوزارة الداخلية، نتيجة هذه الممارسات أصيب 32 شرطياً واعتقل 43 متظاهراً. وفي مساء 29 نوفمبر 2024، خرج أنصار المعارضة مرة أخرى في مظاهرة أمام مبنى البرلمان.

تأثير الحرب في أوكرانيا على الداخل الجورجي:

منذ سنوات وجورجيا حلبة تنافس بين النفوذين الروسي والغربي في عمق منطقة القوقاز، وهو ما أدّى في صيف عام 2008 إلى اجتياح الجيش الروسي للأراضي الجورجية، بذريعة حماية حلفائها من انفصاليي إقليم أوسيتيا الشمالية، لكن الهدف منع تبليسي من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو.

لا شك في أن تفاعلات الحرب في أوكرانيا أثرت، خلال العام الماضي، في الأوضاع الداخلية في جورجيا. هناك رغبة واضحة لدى جزء من الجورجيين في الانتقام من موسكو، مصحوبة لدى هؤلاء أنفسهم بتعاطفٍ مع كييف، تم التعبير عنه من خلال انضمام متطوعين جورجيين إلى "فيلق الأجانب" الذي يقاتل إلى جانب القوات الأوكرانية، بالإضافة إلى مواقف علنية يتم التعبير عنها يومياً تخدم الفكرة نفسها. وفي مقابل ذلك، يتمسك قسمٌ آخر من الشعب الجورجي بالاستقرار الذي تنعم به البلاد منذ تسوية علاقاتها بموسكو في ظل الحزب الحاكم اليوم.

تتسم مواقف جورجيا تجاه الحرب الأوكرانية ببرود يميل نحو روسيا، مع غياب تفاعل واضح مع تصريحات المسؤولين الأوكرانيين. كانت أوكرانيا تأمل في فتح جبهة جنوبية ضد روسيا لتطويقها والإضرار بمصالحها في منطقة القوقاز، مما يخفف الضغط الروسي عليها. هذا التوجه انعكس في تصريحات رئيس وزراء جورجيا، الذي أكد أن السلطات الأوكرانية تحاول جرّ بلاده إلى مواجهة عسكرية مع روسيا، مشيراً إلى أن هذه المحاولات مستمرة، وأن الحكومة تبذل جهوداً كبيرة لتجنب هذا السيناريو الصعب. جاء ذلك رداً على

تصريح سكرتير مجلس الأمن القومي والدفاع الأوكراني، الذي دعا جورجيا إلى فتح جبهة ثانية ضد روسيا، معتبراً أن ذلك سيكون "مفيداً للغاية لأوكرانيا".

جورجيا في الادراك الاستراتيجي الروسي: الاستقرار الصعب

تحظى جورجيا بمكانة متميزة في الادراك الاستراتيجي الروسي بالنظر لمجموعة اعتبارات يتقدمها الموقع الجيوسياسي، إلى جانب الاعتبارات الاقتصادية المتمثلة بموقعها في طريق إمدادات نقل الطاقة، ويعود الصراع بين روسيا وجورجيا إلى المرحمة التاريخية التي شيدت سيطرة الروس على جورجيا وضمها إلى الاتحاد السوفيتي في عام 1921، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي حصلت جورجيا استقلالها عن الاتحاد السوفييتي عام 1991، لكنها عانت لفترة من اضطرابات داخلية في السنوات العشر التي جاءت بعد الاستقلال، وهي الفترة التي شهدت إعلان إقليم أبخازيا استقلاله.

جورجيا دولة نامية تحتل المرتبة 70 عالمياً في مؤشر التنمية البشرية. تعد عضواً في العديد من المنظمات الدولية، بما في ذلك الأمم المتحدة، المجلس الأوروبي، منظمة التجارة العالمية، منظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE)، جمعية الخيار الديمقراطي، منظمة غوام (GUAM) للتطوير الديمقراطي والاقتصادي، وبنك التنمية الآسيوي. تسعى جورجيا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو، وتخضع التزاماتها الدولية للمراقبة من قبل لجنة U.S. Helsinki باعتبارها عضواً مشاركاً في منظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

يشكل الجورجيون ما يقرب من 83.8٪ من تعداد سكان جورجيا الحاليين (4,661,473 نسمة) (تقديرات يوليو 2006). تشمل العرقيات الرئيسية الأخرى الآذريون الذين يشكلون 6.5 ٪ من السكان، والأرمن 5.7 ٪ والروس 1.5 ٪ والأبخاز والأوسيتيون. كما توجد العديد من المجموعات الصغيرة في البلاد، بما في ذلك الآشوريون والشيشان والصينيون واليهود الجورجيون واليونانيون والقبرطاي والأكراد والتتار والأتراك والأوكرانيون. والجدير بالذكر أن الجالية اليهودية في جورجيا هي واحدة من أقدم المجتمعات اليهودية في العالم.

مع بداية التسعينات من القرن الماضي وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي، اشتعلت الصراعات الانفصالية العنيفة في منطقتي الحكم الذاتي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية. غادر العديد من الأوسيتيين الذين عاشوا في جورجيا إلى أوسيتيا الشمالية في روسيا. ومن ناحية أخرى، غادر أكثر من 150,000 من الجورجيين أبخازيا بعد اندلاع أعمال العنف في عام 1993.

تتمتع جورجيا بعلاقات طيبة مع دول الجوار القريب المباشرين أرمينيا وأذربيجان وتركيا وتشارك بفعالية في المنظمات الإقليمية، مثل المجلس الاقتصادي للبحر الأسود وغوام.

تصاعدت التوترات بين جورجيا وروسيا مع استمرار جورجيا في التعبير عن تطلعها للاندماج مع الغرب. وفي كتابه الصادر عام 2010 بعنوان "الحرب الصغيرة التي هزت العالم"، أشار رونالد أسموس إلى أن جورجيا بدأت مساراً للتحول الديمقراطي والتحديث السريع عقب الإطاحة بحكومة إدوارد شيفرنادزه الفاسدة والمتهالكة خلال ثورة الزهور السلمية في تشرين الاول 2003. هذه الثورة أوصلت ميخائيل ساكاشفيلي، زعيم المعارضة والمدعوم من الغرب، إلى الرئاسة. بدعم من قادة ومنظمات غربية، بدأت الحكومة الجديدة في جهود ممنهجة للتخلص من إرث ما بعد الاتحاد السوفيتي والسعي نحو بناء مستقبل جديد.

في ذلك الوقت، شكّلت العلاقة مع موسكو محوراً رئيسياً في الحملات الانتخابية لكل من زعيمي الموالاة والمعارضة. اتهم بيدزينا إيفانشفيلي، زعيم ائتلاف المعارضة "حلم جورجيا"، الرئيس ميخائيل ساكاشفيلي بالتسبب في اندلاع حرب مع روسيا أدت إلى فقدان جورجيا لإقليمي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا. من جانبه، رد ساكاشفيلي زعيم حزب "الحركة الوطنية الموحدة" باتهام إيفانشفيلي بجني ثروته من روسيا خلال تسعينيات القرن الماضي، حتى أنه وصفه بالموالاة للروس.

ساكاشفيلي، الذي أشعل المواجهة مع أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، وبعدها مع روسيا، حقق في انتخابات 2004 دعماً واسعاً من الناخبين أهّله للوصول إلى الرئاسة. لاحقاً، في عام 2008، دخلت القوات الروسية منطقة أوسيتيا الجنوبية خلال ما يُعرف بـ"حرب الأيام الخمسة"، حيث سيطرت على هذه المنطقة الجبلية الصغيرة الواقعة شمال شرقي العاصمة تبليسي.

لم يكن التدخل العسكري لجورجيا في أوسيتيا الجنوبية مفاجئاً في ظل التوترات المتصاعدة بين الطرفين. استغل الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي انشغال العالم وروسيا بافتتاح دورة الألعاب الأولمبية في الصين، وشن هجوماً عسكرياً على العاصمة تسخينفالي في 7 أغسطس 2008. كان ساكاشفيلي يأمل أن تدعم الدول الغربية خطواته وأن توافق على انضمام جورجيا إلى حلف الناتو، الذي توقع أن يردع التدخل الروسي المحتمل للدفاع عن أوسيتيا الجنوبية المدعومة من موسكو.

فيما بعد، أعلنت أوسيتيا الجنوبية استقلالها، وحصلت على اعتراف محدود من دول قليلة، من بينها روسيا وفنزويلا. ومع ذلك، لا تزال المنطقة تحت السيطرة الروسية حتى اليوم.

تراجع تأييده في الانتخابات الرئاسية التالية عام 2008، قبل أن تحرقه الحرب مع روسيا في العام نفسه، وتنتج تغييراً في خيار الجورجيين لمصلحة "الحلم".

في تلك الفترة، اتهم زعيم ائتلاف المعارضة "حلم جورجيا" بيدزينا إيفانشفيلي، الرئيس ميخائيل ساكاشفيلي بإقحام البلاد في حرب مع روسيا أدت إلى خسارة إقليمَي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا. ومن جهته، لم يتوقف ساكاشفيلي زعيم "الحركة الوطنية الموحدة" عن اتهام خصمه بجني ثروته من روسيا خلال التسعينيات من القرن الماضي، إلى حد اعتباره موالياً للروس.

لقد مثّلت الحرب الجورجية على إقليم أوسيتيا الجنوبية في 7 اب 2008 فرصة لموسكو لتأكيد نفوذها في جورجيا. ورغم أن روسيا بررت تدخلها العسكري بأنه رد على العمليات الجورجية في أوسيتيا الجنوبية، حيث أعلن الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف في 8 اب 2008 أن التدخل جاء لـ"حماية حياة وكرامة المواطنين الروس أينما كانوا"، إلا أن هناك أسباباً أعمق وراء هذه الحرب.

أبرز هذه الأسباب هو رغبة روسيا في استعادة السيطرة على ما تعتبره مجالها الجغرافي والنفوذ التاريخي، بما يعزز موقعها كقوة عالمية. كما سعت موسكو إلى استعادة زمام المبادرة الذي فقدته بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة، إضافة إلى كبح النفوذ الغربي المتزايد في جورجيا ومنع تحول هذه الدول إلى تهديد مباشر لأمنها ومصالحها الاستراتيجية.

قطعت موسكو وتبليسي العلاقات الدبلوماسية وتجمدت علاقاتهما الاقتصادية في أعقاب الحرب، ولا تزال قضية وضع المنطقة مصدر إزعاج رئيس، حتى مع تحسن العلاقات إلى حد ما.

أقفلت هذه النتائج مرحلةً من تاريخ جورجيا وفتحت أخرى، خرج بعدها ساكاشفيلي من رئاسة البلاد وغادرها إلى الخارج. فيما بعد، عمل مستشاراً للرئاسة الأوكرانية، وواجه عدة قضايا في جورجيا أوصلته إلى السجن في وقتٍ لاحق.

منذ ذلك الحين، ومع تصاعد التوتر في أوكرانيا عقب انقلاب 2014 على الرئيس فيكتور يانوكوفيتش وضم روسيا لشبه جزيرة القرم، انتهج حزب "حلم جورجيا" سياسة متوازنة في التعامل مع القوى الكبرى المتنافسة على البلاد. ورغم تبنيه القيم الغربية وسعيه للاندماج مع الاتحاد الأوروبي، حرص الحزب الحاكم على الحفاظ على علاقات ودية مع موسكو.

اتسمت سياسته الخارجية بالحياد تجاه روسيا، مع الالتزام بعدم اتخاذ مواقف عدائية، فيما استمرت السياسة الداخلية على موقفها الثابت بشأن استقلال أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا. من جانبها، لم تكن موسكو تطالب تبليسي بأكثر من ذلك، مما ساهم في تهدئة التوترات بين الطرفين.

ويسيطر القلق على أغلبية سكان جورجيا حيال إمكانية نشوب المزيد من الصراعات. وأشارت نتائج استطلاع رأي أجري في الفترة الأخيرة إلى أن أغلب سكان البلاد يفضلون الحل السلمي لمشكلة أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية.

من ناحية أخرى أثرت الحرب في أوكرانيا بشكل ملحوظ على المشهد السياسي في جورجيا، إذ تصاعدت مخاوف المواطنين من ارتدادات الحرب وحدوث تصعيد مماثل في بلادهم. استغل حزب "الحلم الجورجي" هذه المخاوف عبر تبنيه سياسة الحياد، محاولًا الحفاظ على استقرار البلاد وتجنب الانخراط في النزاعات الدولية. هذا النهج أكسبه تأييدًا بين شرائح المجتمع التي تخشى من مخاطر مواجهة مباشرة مع روسيا، وهو ما عزز مكانته السياسية في الداخل.

وتحاول روسيا منذ غزوها لأوكرانيا في 24 شباط2022 إلى اتخاذ تدابير وقائية لمنع انفجار أي جبهات جديدة تُشتّت عمليتها في أوكرانيا وتجلب عليها مزيدا من العقوبات الأمريكية الغربيّة والكلفة العسكرية، لكن ذلك لم يمنعها من أن يكون لها بصمة في تشريعات دول مجاورة للتضييق على الدعم الغربي لمنظمات العمل المدني وحقوق الإنسان التي تراها روسيا مجرد ذريعة للغرب لبسط نفوذه وتمدده الناعم عبر دعمه لتلك المنظمات للإضرار بمصالحها في دول الجوار.

جورجيا والتأثير الجيوسياسي للتوسع الأوروبي:

ساهم توسع الاتحاد الأوروبي شرقاً في زيادة دائرة نفوذ التكتل وإعادة تشكيل التوازن الجيوسياسي في أوروبا. فمن ناحية أدى ذلك إلى زيادة السوق الداخلية للاتحاد وإلى خلق فرص جديدة للتجارة والاستثمار. كما لعبت العملة الموحدة في منطقة اليورو دورا مهما في هذا الصدد، وفي الوقت نفسه شكّل ذلك تحدياً أمام التكتل فيما يتعلق بالمؤسسات والتمويل والتكامل السياسي. فالأعضاء الجدد من أوروبا الشرقية لهم مستويات اقتصادية ودخل أقل مقارنة بدول أوروبا الغربية، لذا يعمل الاتحاد الأوروبي على توفير موارد مالية كبيرة لدعم عملية اللحاق الاقتصادي في هذه البلدان، ويأخذ ذلك شكل صناديق هيكلية وصناديق تماسك بالإضافة إلى برامج دعم أخرى.

التوسع شرقا زاد من تعقيد التكتل الأوروبي مع روسيا حيث أثار ردود فعل وتحديات من جانب روسيا التي كانت ولا تزال تنظر إلى العملية برمتها بمزيج من الاهتمام والقلق. فمن ناحية رأت روسيا في التوسع فرصة لتعاون اقتصادي أوثق وإمكانية لتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة، ومن ناحية أخرى كانت روسيا تخشى -منذ البداية- أن يؤثر ذلك على مصالحها الجيوسياسية ونفوذها في أوروبا الشرقية، غير أن موقف روسيا زاد تشددا في السنوات الأخيرة -حتى قبل عدوانها على أوكرانيا- حيث رأت توسع التكتل تهديداً لمجال نفوذها ودورها التقليدي كقوة مهيمنة في المنطقة، وهذا أدى إلى عدد من التداعيات على قضايا الأمن والطاقة وحقوق الإنسان. أما الاتحاد الأوروبي فيرى -من جهته- أنه يدافع عن منظومة قيم تتعارض في نواحٍ كثيرة مع النظام الاستبدادي المنتهَج في موسكو.

تاريخ العلاقات بين جورجيا والاتحاد الأوروبي يعود إلى عام 1992، عندما تم توقيع اتفاق بين المجموعة الأوروبية السابقة وجورجيا المستقلة حديثاً. في نيسان 1996، وقعت جورجيا، مع أرمينيا وأذربيجان، اتفاقية الشراكة والتعاون مع الاتحاد الأوروبي. وفي 12 كانون الثاني 2002، أشار البرلمان الأوروبي إلى إمكانية انضمام جورجيا إلى الاتحاد في المستقبل. وفي عام 2006، تم تنفيذ "خطة عمل" مدتها خمس سنوات لتعزيز التقارب في إطار سياسة الجوار الأوروبي. كما شهدت العلاقات بين جورجيا والاتحاد الأوروبي تطوراً أكبر في عام 2009 تحت رعاية الشراكة الشرقية.

تعتبر جورجيا من الدول المرشحة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، حيث تم إدراجها ضمن جدول الأعمال الحالي للتوسع في الاتحاد. بعد تقديم جورجيا طلب الانضمام في مارس 2022، قام الاتحاد الأوروبي بتقييم أهلية البلاد وأقر بأنها مرشحة محتملة. في 8 تشرين الثاني 2023، أوصت المفوضية الأوروبية رسمياً بمنح جورجيا وضع المرشح، وتم تأكيد هذه التوصية في 14 كانون الاول 2023.

لقد أدى تعليق محادثات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي إلى احتجاجات كبيرة في تبليسي، حيث يُظهر استطلاع أن 77% من الجورجيين يؤيدون تغيير السياسة الخارجية لتسريع عملية الانضمام. في الوقت نفسه، يواجه حزب الحلم الجورجي تحديات جسيمة قد تؤدي إلى إعادة تشكيل المشهد السياسي سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، بما في ذلك الضغوط من البرلمان الأوروبي واحتمالية حدوث ثورة قد تسهم في انتقال سلمي للسلطة.

تعد جورجيا واحدة من تسع دول مرشحة حالياً للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، إلى جانب ألبانيا وأوكرانيا والبوسنة والهرسك وتركيا والجبل الأسود وصربيا وكوسوفو ومقدونيا الشمالية ومولدوفا.

قرار جورجيا بالتراجع عن مسار الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي يؤثر ليس فقط على فرص البلاد في الانضمام، بل أيضًا على عملية التوسع الشرقي للاتحاد الأوروبي بشكل عام.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة